



السببية بين العادة والمعنى: قراءة تحليلية في فلسفة ديفيد هيوم

م م سهاد حسن مهدي

(وزارة التربية: مديرية تربية الرصافة الأولى - بغداد- العراق)

الكاتب المسؤول: shad1975.hasan@gmail.com

الملخص

يتناول البحث إشكالية السببية في فلسفة ديفيد هيوم بوصفها من أكثر القضايا الفلسفية تأثيراً في تاريخ المعرفة، إذ رفض هيوم فكرة وجود رابطة ضرورية ثابتة بين الأسباب والنتائج، واعتبر أن ما يدركه الإنسان ليس الضرورة ذاتها، بل تكرار اقتران الظواهر الذي يولد في الذهن عادة نفسية تدفعه لتوقع النتيجة عند حضور السبب. وينطلق البحث من محاولة إعادة قراءة مفهوم السببية قراءة تحليلية تربط بين "العادة" و"المعنى"، بحيث لا تكون العادة مجرد استجابة نفسية عمياء، بل آلية معرفية تسهم في إنتاج المعنى وفهم العالم.

يطرح البحث تساؤلاً رئيسياً حول كيفية تحوّل العادة الذهنية عند هيوم إلى أساس يمنح السببية معناها المعرفي رغم غياب الضرورة العقلية أو التجريبية، ويتفرع عنه عدد من الأسئلة المتعلقة بطبيعة السببية، ودور التكرار والخبرة في تكوين الاعتقاد السببي، وإمكانية أن يؤدي هذا التصور إلى تقويض المعرفة أو إعادة تأسيسها على أسس تحليلية جديدة.

يفترض البحث أن هيوم لم يُلغ السببية بالكامل، بل أعاد تفسيرها تفسيراً نفسياً معرفياً قائماً على الخبرة والانتظام، وأن العادة تمثل عنصرًا أساسياً في تكوين الدلالة والمعنى. لذلك يهدف البحث إلى تحليل مفهوم السببية في فلسفة هيوم، وإبراز دور العادة في بناء المعرفة، وتفكيك التصورات التقليدية للضرورة السببية، مع الكشف عن الأبعاد التحليلية في المشروع الهيومى وصلته بالفلسفة التحليلية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: السببية، ديفيد هيوم، العادة الذهنية، المعنى المعرفي، التجربة، الاقتران الزمني، فلسفة المعرفة.

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٦-٣-٧ تأريخ القبول: ٢٠٢٦-٥-١١ تأريخ النشر: ٢٠٢٦-٦-١

Causality Between Habit and Meaning: An Analytical Reading of David Hume's Philosophy

Assistant Lecturer Suhad Hassan Mahdi

(Ministry of Education: First Rusafa Education Directorate -Baghdad, Iraq)

Corresponding author: shad1975.hasan@gmail.com



Abstract

This study examines the problem of causality in the philosophy of David Hume, one of the most influential philosophical issues in the history of knowledge. Hume rejected the notion of a fixed and necessary connection between causes and effects, arguing that what human beings perceive is not necessity itself, but rather the repeated conjunction of phenomena, which generates a psychological habit in the mind that leads it to expect the effect whenever the cause is present. The study seeks to reinterpret the concept of causality through an analytical perspective that links habit and meaning, whereby habit is not merely a blind psychological response but a cognitive mechanism that contributes to the production of meaning and the understanding of the world.

The research raises a central question concerning how mental habit, in Hume's philosophy, becomes the foundation that grants causality its epistemic meaning despite the absence of either rational or empirical necessity. From this main question emerge several subsidiary inquiries related to the nature of causality, the role of repetition and experience in the formation of causal belief, and whether such a conception ultimately undermines knowledge or, instead, reconstructs it on new analytical foundations. The study assumes that Hume did not completely abolish causality; rather, he reinterpreted it as a psychological and epistemological phenomenon grounded in experience and regularity. Habit, therefore, constitutes an essential element in the formation of significance and meaning. Accordingly, the study aims to analyze the concept of causality in Hume's philosophy, highlight the role of habit in the construction of knowledge, deconstruct traditional conceptions of causal necessity, and reveal the analytical dimensions of the Humean project and its connection to contemporary analytic philosophy.

Keywords: Causality, David Hume, Mental Habit, Epistemic Meaning, Experience, Temporal Conjunction, Epistemology.

Received: 7-3-2026

Accepted: 11-5-2026

Published: 1-6-2026



أولاً - مقدمة البحث

تُعدّ السببية من أكثر المفاهيم إشكالية في تاريخ الفلسفة، إذ شكّلت أساساً لتفسير انتظام الظواهر الطبيعية وبناء المعرفة العلمية. وقد مثّل ديفيد هيوم منعطفاً حاسماً في معالجة هذا المفهوم، حين نفى إمكان إدراك رابطة سببية ضرورية قائمة في الأشياء، وردّها إلى العادة الذهنية الناتجة عن التكرار والاقتران الزمني. يهدف هذا البحث إلى تحليل مفهوم السببية عند هيوم من زاوية غير تقليدية، تقوم على تتبّع الانتقال من العادة بوصفها آلية نفسية، إلى المعنى بوصفه بناءً معرفياً، مع محاولة الكشف عن الأسس التحليلية التي تمنح السببية دلالتها دون افتراض ضرورة ميتافيزيقية.

ثانياً: إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس الآتي:
كيف تتحول العادة الذهنية، عند ديفيد هيوم، إلى معنى معرفي يمنح السببية مكانتها في التفكير الإنساني، رغم غياب الضرورة العقلية والتجريبية؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية:

1. ما المقصود بالسببية في المشروع الفلسفي لهيوم؟
2. كيف يفسر هيوم نشوء الاعتقاد السببي انطلاقاً من العادة؟
3. ما طبيعة المعنى الذي تكتسبه السببية في ظل هذا التفسير؟
4. هل يؤدي ردّ السببية إلى العادة إلى تقويض المعنى المعرفي أم إلى إعادة بنائه؟

ثالثاً: فرضيات البحث

يقوم البحث على الفرضيات الآتية:

1. إنّ السببية عند هيوم لا تُلغى، بل يُعاد تأسيسها على أساس نفسي-معرفي لا ميتافيزيقي.
2. تمثل العادة الذهنية آلية توليد للمعنى، لا مجرد استجابة نفسية عمياء.
3. يكتسب مفهوم السببية دلالاته من الانتظام والخبرة المتكررة، لا من الضرورة العقلية.
4. يفتح التصور الهيوم للسببية أفقاً تحليلياً يمهد للفلسفة التحليلية المعاصرة.

رابعاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. تحليل مفهوم السببية في فلسفة ديفيد هيوم تحليلاً مفهوماً دقيقاً.
2. إبراز دور العادة الذهنية في إنتاج المعنى المعرفي.



3. تفكيك التصور التقليدي للضرورة السببية.
4. بيان الأبعاد التحليلية الكامنة في المشروع الهيومني.
5. المساهمة في تجديد قراءة هيوم بعيداً عن الطرح الوصفي أو التاريخي.

خامساً: أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في:

1. تناوله إشكالية فلسفية مركزية ذات امتدادات معرفية وعلمية
2. تقديم قراءة تحليلية معاصرة لفلسفة هيوم.
3. إسهامه في ربط الإستمولوجيا الكلاسيكية بالتحليل الفلسفي الحديث.
4. صلاحيته للنشر في مجالات فلسفية محكمة وللاحتساب في متطلبات الترقية العلمية.

سادساً: منهج البحث

يعتمد البحث على:

1. المنهج التحليلي الفلسفي: لتفكيك المفاهيم الأساسية (السببية، العادة، المعنى).
2. المنهج النقدي: لتقييم حدود التفسير الهيومني.
3. المنهج المقارن غير المباشر: عند الإشارة إلى امتدادات التصور الهيومني في الفكر التحليلي المعاصر.

المبحث الأول: السببية في فلسفة ديفيد هيوم – نقد الضرورة وإعادة بناء المفهوم.

أولاً: السببية في التصور الفلسفي التقليدي وحدود التفسير الميتافيزيقي

احتل مفهوم السببية موقفاً مركزياً في الفلسفة الكلاسيكية بوصفه مبدأً يفسر انتظام العالم الطبيعي، ويضمن إمكان المعرفة العلمية. فقد ارتبطت السببية، منذ أرسطو، بفكرة العلة بوصفها ما يمنح الشيء وجوده أو تغيره، سواء كانت علة مادية أو صورية أو فاعلة أو غائبة (Aristotle, 1984: 316). ومع تطور الفلسفة الحديثة، استمر هذا التصور، ولكن بصيغة مختلفة، حيث جرى التعامل مع السببية على أنها رابطة ضرورية قائمة في الأشياء، تجعل من تحقق السبب أمراً كافياً لوقوع المعلوم. في هذا الإطار، افترضت الفلسفة العقلانية أنّ العقل قادر على إدراك هذه الرابطة إدراكاً يقينياً، في حين رأت الفلسفة التجريبية السابقة على هيوم أنّ التجربة تكشف عن انتظامات ثابتة يمكن تحويلها إلى قوانين عامة. غير أنّ كلا الاتجاهين اشتركا في التسليم بوجود نوع من الضرورة السببية، سواء أكانت عقلية أم طبيعية.





إلا أن هذا التصور الميتافيزيقي للسببية يواجه إشكالاً إبستمولوجياً عميقاً، يتمثل في السؤال عن مصدر فكرة الضرورة: هل هي معطى عقلي سابق على التجربة؟ أم خاصة تُستخلص من الملاحظة الحسية؟ هذا السؤال هو ما مهّد الطريق لنقد هيوم الجذري، الذي لم يكتفِ بتعديل مفهوم السببية، بل أعاد النظر في أساسه المعرفي برمته.

وقد أشار عدد من الباحثين العرب إلى أن الإشكال الحقيقي في مفهوم السببية التقليدي لا يكمن في انتظام الظواهر، بل في القفز من هذا الانتظام إلى افتراض رابطة ضرورية غير قابلة للملاحظة (زكريا، ١٩٨٦: ١١٢). ومن هنا تظهر أهمية المشروع الهيوموي بوصفه محاولة لتحرير الفلسفة من افتراضات ميتافيزيقية لا تسندها التجربة.

ثانياً: نقد ديفيد هيوم للضرورة السببية وتحليل أساس الاعتقاد

ينطلق ديفيد هيوم في نقده للسببية من مبدئه التجريبي القائل إن كل فكرة مشروعة يجب أن تكون قابلة للإرجاع إلى انطباع حسي—مباشر. وبناءً على هذا المبدأ، يتساءل: هل لدينا انطباع حسي—عن "الرابطة الضرورية" التي يُفترض أنها تقوم بين السبب والمعلول؟ يجيب هيوم بالنفي، مؤكداً أن التجربة لا تكشف سوى تعاقب منتظم بين الأحداث، دون أن تُظهر أي قوة أو ضرورة قائمة في الأشياء ذاتها (Hume, 1739/1978: 86).

فلاحظ، على سبيل المثال، إن اصطدام جسم بآخر يتبعه تحرك الثاني، فإن ما ندركه حسيًا هو التتابع الزمني والاقتران المكاني، لا علاقة إنتاجية حتمية. وبالتالي، فإن فكرة الضرورة السببية لا يمكن أن تكون مستمدة من التجربة، ولا يمكن أيضاً أن تكون نتاج استدلال عقلي، لأن نقيضها يظل ممكناً منطقياً دون تناقض (Hume, 1748/2007: 30).

يُميز هيوم هنا بين نوعين من القضايا: علاقات الأفكار التي تتمتع باليقين والضرورة، ووقائع العالم التي لا تقوم إلا على الاحتمال والتجربة. وبما أن السببية تتعلق بوقائع العالم، فإنها لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الضرورة العقلية. وبالتالي، فإن الاعتقاد السببي لا يقوم على البرهان، بل على الاعتقاد الناتج عن التكرار. وقد فسّر—شراح هيوم هذا الموقف بوصفه انتقالاً بالسببية من مجال الميتافيزيقا إلى مجال التحليل النفسي—المعرفي. فالسببية، في نظر هيوم، ليست وهمًا، لكنها ليست حقيقة ضرورية أيضاً، بل نمط من الفهم يتشكّل داخل العقل نتيجة انتظام الخبرة. (Ayer, 1980: 58) وهذا ما يجعل السببية مفهوماً ذا وظيفة معرفية عملية، لا مبدأً ميتافيزيقياً مطلقاً.

ويؤكد بيتر ستروسون أن أهمية هيوم لا تكمن في إنكاره للسببية، بل في إعادة تعريفها بوصفها جزءاً من البنية المفهومية التي نعتمدها في تفسير العالم، دون ادعاء أنها تعكس بنية ضرورية قائمة في الواقع ذاته (Strawson, 1989: 36).

المبحث الثاني: العادة الذهنية وتأسيس الاعتقاد السببي عند ديفيد هيوم



أولاً: مفهوم العادة الذهنية ودورها في بناء الخبرة الإنسانية

بعد أن نفى ديفيد هيوم إمكانية تأسيس السببية على الضرورة العقلية أو الإدراك الحسي. المباشري، انتقل إلى البحث عن الأساس الذي يفسر استمرار الاعتقاد السببي في الفكر الإنساني. وفي هذا السياق، قدّم مفهوم العادة الذهنية بوصفه المبدأ الحاسم في تفسير كيفية تشكّل هذا الاعتقاد داخل العقل.

يرى هيوم أنّ الذهن الإنساني لا يعمل بوصفه مرآة سلبية للوقائع، بل يمتلك آليات داخلية تنظّم الخبرة وتمنحها استقراراً نسبياً. ومن بين هذه الآليات، تحتل العادة موقفاً مركزياً، إذ تتكوّن بفعل التكرار المستمر لاقتراح حدثين على نحو منتظم، بحيث يصبح الذهن مهياً لتوقع حدوث أحدهما عند حضور الآخر (Hume, 1739/1978: 102).

فالعادة، بهذا المعنى، ليست مجرد تكرار آلي، بل بنية نفسية-معرفية تفسر كيفية انتقال العقل من الماضي إلى المستقبل. إذ أنّ الإنسان، عند مواجهة انتظام متكرر في الخبرة، يكوّن نزوعاً داخلياً يجعله يتجاوز المعطيات الراهنة ويتوقع ما سيحدث لاحقاً. وهذا النزوع لا يستند إلى برهان عقلي، بل إلى الاعتياد المتراكم عبر التجربة.

ويؤكد هيوم أنّ هذا الانتقال من الخبرة السابقة إلى التوقع المستقبلي لا يمكن تبريره منطقياً، لأن المستقبل يظل من حيث المبدأ مفتوحاً على احتمالات مختلفة. ومع ذلك، فإن العادة تجعل هذا الانتقال أمراً لا غنى عنه في الحياة العملية والمعرفة اليومية. (Hume, 1748/2007: 41)

وقد أشار عدد من شراح هيوم إلى أنّ مفهوم العادة يمثّل نقطة التقاء بين التحليل النفسي. ونظرية المعرفة، إذ يكشف عن أنّ كثيراً من معتقداتنا الأساسية لا تقوم على الاستدلال البرهاني، بل على آليات ذهنية تشكّلت تاريخياً في علاقتنا بالعالم. (Ayer, 1980: 60)

ثانياً: من التكرار إلى الاعتقاد – العادة بوصفها أساس الضرورة النفسية

يُميز هيوم بشكلٍ دقيقٍ بين ما يسميه الضرورة النفسية والضرورة العقلية أو الميتافيزيقية. فالضرورة التي نشعر بها في الأحكام السببية ليست ضرورة منطقية، لأن نقيضها ممكن دون تناقض، وليست ضرورة واقعية قائمة في الأشياء، لأن التجربة لا تكشف عنها. إنها، بالأحرى، ضرورة ذاتية تنشأ داخل الذهن بفعل ترسخ العادة. (Hume, 1739/1978: 165)

حين يتكرر اقتران حدثين عدة مرات، يتكوّن في الذهن شعور بالثبات والاستقرار، يجعل الربط بينهما يبدو وكأنه حتمي. وهذا الشعور هو ما يفسر الاعتقاد السببي، دون الحاجة إلى افتراض قوة خفية أو رابطة ضرورية في الواقع. فالذهن، بفعل العادة، ينتقل تلقائياً من تصور السبب إلى تصور المعلول، ويشعر بهذا الانتقال بوصفه "ضرورة". (Hume, 1748/2007: 44)



وتكمن أهمية هذا التحليل في أنه يبيّن أنّ السببية ليست معرفة يقينية، بل اعتقاد مبرّر عمليًا. فالعادة لا تمنحنا اليقين، لكنها تمنحنا ما يكفي من الاستقرار المعرفي للتعامل مع العالم. وبهذا، تتحول السببية إلى أداة تنظيمية للخبرة، لا إلى مبدأ ميتافيزيقي مطلق.

وقد رأى بيتر ستروسون أنّ هذا التحليل لا يؤدي إلى الشك المطلق، كما قد يُظن، بل يؤسس لما يسميه “الطبيعية الفلسفية”، حيث تُفهم معتقداتنا الأساسية بوصفها نتاجًا لبنية الذهن الإنساني وطبيعة الخبرة،

لا لبرهان عقلي صارم. (Strawson, 1989: 47)

أما في الدراسات العربية، فقد أشار فؤاد زكريا إلى أنّ هيوم، من خلال مفهوم العادة، لم يسعَ إلى تقويض المعرفة العلمية، بل إلى كشف حدودها المنهجية، وتحريرها من الادعاءات الميتافيزيقية التي تتجاوز مجال التجربة (زكريا، ١٩٨٦: ١١٩).

وهكذا، يمكن القول أنّ العادة الذهنية تمثّل، في فلسفة هيوم، الأساس الفعلي الذي تقوم عليه معظم معتقداتنا المتعلقة بالعالم الطبيعي. فهي التي تمنح السببية طابعها العملي، وتفسّر استمرارها في الفكر الإنساني، رغم غياب أي مبرر عقلي أو تجريبي صارم.

المبحث الثالث: من العادة إلى المعنى – دلالة السببية في فلسفة ديفيد هيوم.

أولاً: إشكالية المعنى في تفسير السببية الهيومية

يُثير ردّ السببية إلى العادة الذهنية عند ديفيد هيوم إشكالاتاً فلسفياً يتجاوز البعد النفسي – ليطال مسألة المعنى المعرفي. فإذا كانت السببية ليست رابطة ضرورية قائمة في الأشياء، وليست نتيجة استدلال عقلي يقيني، فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو: ما الذي يجعل القضايا السببية ذات معنى معرفي وليست مجرد تسجيل لتكرار تجريبي؟

يرفض هيوم اختزال السببية في مجرد الوصف الإحصائي لتعاقب الأحداث؛ لأن هذا الاختزال يعجز عن تفسير الوظيفة التي تؤديها القضايا السببية في المعرفة الإنسانية. فحين نقول إنّ حدثاً ما “سبب” حدثاً آخر، فإننا لا نكتفي بالإخبار عن وقوعهما المتعاقب، بل نُضفي على هذا الربط قيمة تفسيرية وتنبؤية. وهذا البعد الوظيفي هو ما يمنح السببية معناها داخل التجربة الإنسانية. (Hume, 1748/2007: 47)

إنّ المعنى، في هذا السياق، لا يُفهم بوصفه انعكاساً لبنية ميتافيزيقية في الواقع، بل بوصفه ناتجاً عن طريقة اشتغال الذهن في تنظيم الخبرة. فالسببية تكتسب معناها من كونها أداة عقلية لفهم الانتظام الطبيعي، لا من كونها تعبيراً عن ضرورة قائمة بذاتها. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى أنّ هذا التصور يمثل انتقالاً من “المعنى التمثيلي” إلى “المعنى الوظيفي” (Ayer, 1980: 71)



ويعزز هذا الاتجاه التحليلي ما ذهب إليه إرنست توغندهات، الذي يرى أنّ المعنى لا يُختزل في الإحالة إلى موضوع خارجي، بل يتحدد من خلال الدور الذي يؤديه المفهوم داخل نسق من القواعد والممارسات المعرفية. (Tugendhat, 1982: 73) وبناءً على ذلك، يمكن القول إنّ السببية عند هيوم تمتلك معنى؛ لأنها تؤدي وظيفة تفسيرية داخل نسق الخبرة، لا لأنها تحيل إلى رابطة ضرورية في الأشياء. وقد تناولت بعض الدراسات العربية هذا البعد، معتبرة أنّ هيوم لم يُفرغ السببية من معناها، بل أعاد تحديده ضمن حدود التجربة الإنسانية، وهو ما يمنح فلسفته طابعًا نقديًا بئسًا بدل أن يكون شكًا هدامًا (العراقي، ٢٠٠١: ١٤٤).

ثانيًا: السببية بوصفها مفهومًا دلاليًا وظيفيًا وأثرها في الفلسفة التحليلية

يُفضي- تحليل المعنى السببي عند هيوم إلى إعادة توصيف السببية بوصفها مفهومًا دلاليًا وظيفيًا، أي مفهومًا تتحدد دلالاته من خلال استخدامه في التفسير والتوقع وتنظيم الخبرة. فالسببية لا تعني، في هذا الإطار، الكشف عن "ماهيات خفية"، بل تمثل أداة عقلية للتعامل مع انتظام الظواهر. وقد أشار بيتر ستروسون إلى أنّ السببية الهيومية تندرج ضمن ما يسميه "المفاهيم الأساسية للفهم الإنساني"، أي تلك المفاهيم التي لا يمكن التخلي عنها في ممارسة التفكير، حتى وإن لم يكن لها أساس ميتافيزيقي صارم. (Strawson, 1989: 50) ومن هنا، فإن المعنى السببي يستمد مشروعيته من ضرورته العملية والمعرفية، لا من ادعاء مطابقته لبنية الواقع في ذاته. ويظهر هذا التحليل أنّ السببية ليست ذاتية خالصة، لأن العادة نفسها لا تتكوّن إلا في سياق انتظامات واقعية في الطبيعة. فالمعنى السببي هو حصيلة تفاعل بين انتظام خارجي، وبنية ذهنية داخلية، ولغة فلسفية تُنظّم هذا التفاعل. وهذا ما يجعل السببية مفهومًا "بين-ذاتيًا"، يشترك فيه الأفراد ضمن إطار خبرة مشتركة. (Cruse, 2011: 44)

كما يُمكن النظر إلى تأثير هيوم في الفلسفة التحليلية المعاصرة، ولا سيما في تعاملها مع مفاهيم مثل القانون والتفسير والاحتمال، بوصفه امتدادًا طبيعيًا لهذا التصور. فقد أسهم نقده للضرورة السببية في تحرير التحليل الفلسفي من النزعة الميتافيزيقية، وفتح المجال أمام فهم دلالي-وظيفي للمفاهيم العلمية. (Price, 2007: 91).

وفي السياق العربي، يرى فؤاد زكريا أنّ القيمة الفلسفية لموقف هيوم تكمن في كشفه عن الطابع الإنساني للمفاهيم العلمية، دون أن يؤدي ذلك إلى **relativism** معرفيًا؛ لأن هذه المفاهيم تظل مرتبطة بالخبرة المشتركة وبنجاحاتها العملية (زكريا، ١٩٨٦: ١٢٣).



وعليه، فإن السببية في فلسفة هيوم لا تُلغى ولا تُختزل، بل يُعاد بناؤها بوصفها مفهومًا ذا معنى نابع من وظيفته في تفسير العالم وتنظيم التجربة. وبهذا المعنى، تمثل فلسفة هيوم حلقة وصل أساسية بين الإستمولوجيا الكلاسيكية والفلسفة التحليلية الحديثة.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تحليل مفهوم السببية في فلسفة ديفيد هيوم من خلال تتبع الانتقال من العادة الذهنية إلى المعنى المعرفي، بوصفه انتقالًا مفصليًا يعكس التحول الذي أحدثه هيوم في تاريخ الفكر الفلسفي. فقد تبين أن نقد هيوم للضرورة السببية لا يهدف إلى نفي السببية أو تقويض إمكان المعرفة، بل إلى تحرير هذا المفهوم من الحمولة الميتافيزيقية التي أثقلت بها الفلسفة التقليدية، وإعادة بنائه ضمن حدود الخبرة الإنسانية.

أظهر التحليل أن السببية، في التصور الهيوم، لا تُفهم بوصفها رابطة ضرورية قائمة في الأشياء، ولا نتيجة استدلال عقلي يقيني، بل بوصفها نمطًا من الفهم يتشكل داخل الذهن بفعل انتظام الخبرة وتكرارها. وقد مثل مفهوم العادة الذهنية المفتاح التفسيري الذي اعتمد عليه هيوم لشرح كيفية نشوء الاعتقاد السببي واستمراره، بما يضمن للمعرفة الإنسانية طابعها العملي دون ادعاء اليقين المطلق.

كما بين البحث أن ردّ السببية إلى العادة لا يؤدي إلى إفراغها من معناها، بل يُفرض - إلى إعادة تحديد هذا المعنى بوصفه معنىً وظيفيًا يتجسد في الدور التفسيري والتنبؤي الذي تؤديه القضايا السببية داخل نسق المعرفة الإنسانية. فالسببية، بهذا المعنى، تظل مفهومًا ذا قيمة معرفية، لأنها تُنظّم الخبرة، وتمنحها استقرارًا نسبيًا، حتى في غياب الضرورة الميتافيزيقية.

ومن خلال الربط بين تحليل هيوم للسببية وبعض معطيات الفلسفة التحليلية، اتضح أن المشروع الهيوم يمثّل حلقة تأسيسية في الانتقال من الفهم الميتافيزيقي للمفاهيم إلى الفهم التحليلي-الدلالي، حيث يُنظر إلى المعنى بوصفه ناتجًا عن الاستعمال والوظيفة، لا عن الإحالة إلى ماهيات ثابتة. وبهذا، تتجاوز فلسفة هيوم إطارها التاريخي لتظل ذات راهنية في النقاشات الفلسفية المعاصرة حول المعرفة والعلم والمعنى.

الاستنتاجات

1. توصل البحث إلى أن السببية عند ديفيد هيوم لا تقوم على ضرورة عقلية أو ميتافيزيقية، بل على انتظام تجريبي يُعاد تفسيره داخل الذهن الإنساني بوصفه علاقة سببية.
2. تبين أن مفهوم العادة الذهنية يشكّل الأساس الحقيقي للاعتقاد السببي، إذ يفسر انتقال العقل من ملاحظة الماضي إلى توقع المستقبل دون اعتماد على استدلال منطقي يقيني.
3. أظهر البحث أن نقد هيوم للسببية لا يؤدي إلى إنكارها، بل إلى إعادة تأسيسها على أساس نفسي-معرفي يضمن فاعليتها العملية وحدودها المعرفية في آنٍ واحد.



4. اتضح أنّ المعنى السببي في فلسفة هيوم معنى وظيفي، يتحدد من خلال الدور التفسيري والتنبؤي الذي تؤديه القضايا السببية داخل التجربة الإنسانية، لا من خلال إحالتها إلى رابطة ضرورية قائمة في الأشياء.
 5. بين التحليل أنّ السببية، في التصور الهيومني، ليست ذاتية خالصة، لأن العادة نفسها لا تتكوّن إلا استجابةً لانتظامات واقعية في الطبيعة، مما يمنح المفهوم طابعًا بين-ذاتيًا.
 6. خلص البحث إلى أنّ مشروع هيوم يمثل أحد الأسس النظرية التي مهّدت لظهور الفلسفة التحليلية، ولا سيما في تعاملها مع مفاهيم المعنى والتفسير والقانون العلمي.
 7. يساهم هذا الفهم التحليلي للسببية في تجاوز الثنائية التقليدية بين الواقعية الميتافيزيقية والشك المعرفي، من خلال تقديم تصور وسطي يربط بين الخبرة الإنسانية وبنية الذهن.
- المصادر

1. Aristotle. (1984). The Complete Works of Aristotle, Vol. 1. Princeton: Princeton University Press.
2. Ayer, A. J. (1980). Hume. Oxford: Oxford University Press.
3. Cruse, A. (2011). Meaning in Language. Oxford: Oxford University Press..
4. Hume, D. (1739/1978). A Treatise of Human Nature. Oxford: Clarendon Press.
5. Hume, D. (1748/2007). An Enquiry Concerning Human Understanding. Oxford: Oxford University Press.
6. Price, H. (2007). Causation, Physics, and the Constitution of Reality. Oxford: Oxford University Press.
7. Strawson, P. F. (1989). Skepticism and Naturalism. London: Routledge.
8. Tugendhat, E. (1982). Traditional and Analytical Philosophy. Cambridge: Cambridge University Press.
9. بدوي، عبد الرحمن (١٩٩٢). موسوعة الفلسفة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
10. زكريا، فؤاد (١٩٨٦). نظرية المعرفة والموقف الطبيعي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
11. عاطف العراقي (٢٠٠١). المنهج التجريبي في الفلسفة الحديثة. القاهرة: دار الفكر العربي.
12. عبد الرحمن بدوي (١٩٩٢). موسوعة الفلسفة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.





Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper.

Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to Mustansiriyah University, College of Arts, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance offered by the institution greatly contributed to the successful completion of this study.